الفصل الحادى عشر

الحياة أوف شور
العامل البشرى

فى عام ٢٠٠٦، التقيت مصرفياً خاصة سابقة، اسمها بث كرال، كى أجد إجابة عن سؤال كان قد ظل يُلح علىَّ ويقلقنى: كيف يبرر المصرفيون الخاصون الذين يحمون ثروات أفراد العصابات والسياسيين الفاسدين ما يفعلونه؟

التقينا يوم أحد بكافيه صاخب بواشنطون دى سى حيث كانت تعيش. كانت قد تركت المصارف الخاصة والتحقت بالقطاع غير الحكومى. بدت وهى ترتدى معطفاً أسود لافتاً باللونين الأبيض والأسود وأنها مازالت المصرفية الدولية الأنيقة. كانت كرال (وهذا ليس اسمها الحقيقى) التى كانت فى السابعة والأربعين قضت منها حوالى أربعة وعشرين عاما فى العمل المصرفى، مازالت تحاول أن تتوافق مع حياتها الماضية. كانت تمقت ما كانته فى الماضى، ومن الواضح أن فضحها لما خبرته من أمور مروعة كان يتسبب لها فى الألم، بيد أنها رفضت بإصرار كشف أى من تفاصيل العملاء التى أقسمت على حمايتها. كانت حريصة على عدم إحداث قطيعة مع الصداقات العديدة التى كونتها من خلال تلك الصناعة، وكانت تراعى بدقة ما تقوله وما لا تقوله.

كان آخر مركز أوف شور عملت به كرال هو جزر البهاما وهى مجموعة جزر فى أرخبيل يسكنها ٣٠٠٠٠٠ نسمة وظلت مركز أوف شور مهما منذ العصر الذهبى للجريمة المنظمة الأمريكية فى العقود الأولى للقرن العشرين. قبل لقائنا ببضعة أشهر كان أحد العاملين بجزر الكايمان قد حذرنى من أن علىَّ أن أتيقظ لسلامتى الشخصية إن كنت أنوى أن «أطرح كل تلك الأسئلة» فى جزر البهاما. قالت كرال إنها غير واثقة مما قد يحدث لها إذا عادت إلى هناك لأنها كانت تخرق، جزئيا، قانون الصمت للبنوك الخاصة. قالت دون أن تبتسم «لا أود أن أُدفن تحت ألواح من الإسمنت». أحد أسباب خوفها كان شيئا قد سبب غضبها فى البداية: الكثيرون ممن كانت تتعامل معهم كانوا أفرادا أقوياء ذوى سلطة فى أوطانهم، كانت إحدى الحالات تتعلق «بأفراد بارزين جدا فى عالم السياسة».

وعلى غير المعتاد من المصرفيين الأجانب فى البهاما، كانت كرال قد شاركت فى

احتفالات Junkanoo، وهى مزيج من التقاليد الكرنفالية الكاريبية والأمريكية اللاتينية، والتى يسميها أحد المواقع الإلكترونية «أعظم مناسبة ثقافية ليس فقط فى جزر البهاما بل فى العالم أجمع». بدت محبطة لفكرة أن أعضاء مجموعتها فى احتفالات -Junkanoo ناهيك عن أصدقائها الآخرين بالجزر - قد يرون أن نقدها لصناعة الأوف شور هناك معادياً للبهاما. كانت مازالت تحاول إعادة تحديد علاقتها بقيم الأوف شور التى عملت فى إطارها طوال حياتها الوظيفية: السرية أمر طيب؛ كل ما يأتى بالأموال طيب؛ إذا خرقت قانون الصمت فإما أنك مهمل أو خائن.

ولِدت كرال فى لستر بإنجلترا، واجتازت الاختبارات المصرفية بعد انتهائها من دراستها مباشرة وعملت أولا ببنك ميدلاند البريطانى الدولى فى الثمانينيات، قبل أن تنتقل إلى العمل ببنك سويدى تملكه الدولة جزئيا، ثم فى عام ١٩٨٧ إلى تشيس مانهاتن بلكسمبورج كى تعمل فى مكتبه الخلفى - بالإدارة. كان تشيس الوكيل

الذى يقوم بدفع الأرباح عن بعض إصدارات السندات، وكانت كرال تقوم بجهد شاق فى أقبية قسم الكوبونات وتتأكد من أن حاملى سندات اليورو يتلقون مستحقاتهم. تتذكر كرال قائلة «كنا نتعامل مع أطباء الأسنان البلچيكيين الذين يحتفظون بسنداتهم تحت المراتب. أحيانا كانوا يحضرون جميعهم مرة واحدة – وكنا نقول لقد وصل باص الكوبونات. كانوا يأتون من بلچيكا، وألمانيا وهولندا، يملئون الردهة وتصل تجمعاتهم إلى خارج الأبواب، ثم يتملكهم الغضب ويلوحون بكوبوناتهم ويتسلمون شيكاتهم». كان بالأقبية بين أشياء أخرى أظرف مغلقة تتعلق بالأفراد الذين يحوزون صافى قيمة أصول عالية high net worth individuals (HNWIs). قالت «لم نكن نعرف ما بداخل تلك الأظرف. كان المصرفيون الخاصون ومدراء العلاقات يضعون تلك الأشياء هناك – لم تكن لدينا أية فكرة».

كان من المعتاد أن يستمر العمل لمدة ست عشرة ساعة فى اليوم وأحيانا كان عليهم العمل فى إجازات نهاية الأسبوع وكان الضغط هائلا. قالت «إنها ثقافة خوف. إن خسر العميل نقودا واجهنا المشاكل. كنا نشعر بالتوتر الهائل. مواعيد نهائية، تتفرع منها مواعيد نهائية أخرى. السياسات الشركاتية مجنونة؛ ضغوط هائلة، مراوغات، قسوة لا تعرف الرحمة، وطعن فى الظهر». انتقلت إلى بانكو مركانتيل دو ساو پاولو البرازيلى، ثم إلى بنك سيتى ترست فى جزر البهاما حيث عملت بتقييمات وحسابات الاستثمارات المشتركة. هنا رفضت كرال ذكر أسماء المؤسسات التى عملت معها بعد ذلك.

أصبحت مدير علاقات العملاء للأعمال المصرفية الخاصة بجزر البهاما فى فرع لأحد البنوك البريطانية الشهيرة. كانوا يعملون فى مجال ما يسمى «البنوك المُدارة managed banks أو البنوك الاعتبارية shell banks»، وهى تخصص أوف شورى، ليس لها وجود حقيقى فى المكان الذى تأسست به، من ثم بإمكانها تحاشى الإشراف عليها من خلال منظمين مسئولين. نمطيًا، تشغَّل هذه البنوك من خلال وكيل لها فى أحد الاختصاصات القضائية للملاذات الضريبية – وربما يكون هذا

بنكا كوكبيا شهيراً – مما يمدها باسم راسخ معروف يبعث على الطمأنينة وكذلك عنوان لدعم القوقعة The Shell التي يتخفى البنك داخلها ويتحصن بها، لكن هذا البنك الوكيل الشهير لا يتحمل أية مسئولية، بل إنه لا يملك معلومات حقيقية عن ممارسات البنك الاعتبارى. من ثم، قد تتم إجراءات تأسيس البنك فى جزر البهاما مثلا، فيما يتواجد مالكوه ومدراؤه فى مكان آخر.

تتعاطى تلك البنوك الاعتبارية مع أنشطة ترفض بنوك أخرى أن تلمسها. وفقا لتعبير السناتور كارل لڤين «لا يفحص المنظمون، بعامة، تلك البنوك، ولا يكاد أحد سوى مالكيها يعرف مكانها أو كيف يجرى العمل بها أو من هم عملاؤها. أخبرنا مالك لأحد تلك البنوك أن بنكه يوجد حيث يوجد هو فى أى وقت». تعرض الإعلانات إنشاء مثل تلك البنوك نظير بضعة آلاف من الدولارات وتعد بألا يكون ثمة عمليات تفتيش فضولية عن خلفياتها، أو بإنشائها داخل اختصاص قضائى وقانونى أوربى، وبألا يستغرق إنشاؤها سوى وقت قصير. استخدم البنك الذى عملت به كرال اسم بنك معروف من أجل طمأنة مُنظّم جزر البهاما. سألتُ كرال عن مدى الإشراف الذى كان يمارسه البنك البريطانى على تلك الكيانات، فضحكت ساخرة وقالت إن تلك البنوك ترسل كشوف حسابات كل ثلاثة أشهر لبنك البهاما المركزى، لكن الإشراف عليها ورقابتها لم يكن ضمن اختصاصاتهم.

تتذكر كرال أنه كان ثمة لافتات نحاسية فى بهو الاستقبال بالبنك البريطانى التى كانت تعمل به مكتوب عليها بانكو دو إكس Banco de X، الذى ربما كان اسم بنك أرجنتينى اعتبارى يستخدم عنوان البنك البريطانى وأرقام هواتفه على أوراقه المكتبية ومطبوعاته. لم يكن بإمكان منظم البهاما معرفة ما يجرى بالأرجنتين، والعكس صحيح، وهذا أسلوب أوف شور كلاسيكى. وكالمتوقع، كانت بعض تلك البنوك تفشل، هذا على الرغم من أن أحد أكبر مكاتب المراجعة الحسابية الخمسة كان يقوم بمراجعة دفاترها المحاسبية ويُقرها. تتذكر كرال، التى تتحدث الإسبانية، تلقى مكالمات هاتفية من مودعين غاضبين لدى انهيار البنوك والصناديق التى كان

بنكها يتعامل معها. كان المودعون ينفجرون فى البكاء وهم يحادثونها ويخبرونها أنهم فقدوا مدخرات حياتهم وكانت تخبرهم أنه لا جدوى فى القدوم بالطائرة إلى البهاما لأنه ليس ثمة نقود هناك. بل إن النقود لم تكن موجودة هناك أبدا.

دفعت هجمات ١١ سبتمبر الولايات المتحدة إلى إصدار تشريع بخصوص تلك البنوك اقتضى أن يوظف كل منها مصرفييْن رفيعىْ المستوى ويحتفظ بدفاتره المحاسبية وسجلاته فى مقره كى يصبح له كيان حقيقى ويتمكن من ممارسة نشاطه. قالت كرال إن هذا يعنى أن يَشْغَل البنك غرفة أو جناحا فى أحد المبانى، ويجلس به شخصان ويصبح بنكا. وجهتنى إلى الموقع الإلكترونى القائم لشركة ائتمانية تتخذ البهاما مقرا لها والتى توفر تلك المتطلبات بالضبط: مظهر البنك الحقيقى بما فى هذا اثنان من العاملين، كوكيلين أو مديريْن، ومكان للإمساك بالدفاتر وحفظ السجلات. تتيح تلك الهيئة للكيان القيام بنشاطه المعتاد، وفى نفس الوقت الوفاء بمتطلبات المنظمين.

انتقلت كرال بعد ذلك إلى بنك أوربى كبير وعملت مرة أخرى مديرا لعلاقات العملاء – واقعيا، يقتضى هذا المنصب العثور على عملاء أثرياء والقيام بما يرضيهم. كان اصطياد العملاء يقتضى منها السفر كثيرا إلى أمريكا اللاتينية. قالت «كنت أذكر فى استمارة طلب الڤيزا أننى ذاهبة للمتعة، هذا رغم امتلاء حقيبة سفرى ببذلات البيزنس الرسمية وتقييمات محافظ أوراق مالية Portfolio evaluation أو مواد تسويقية وعروض تشرح مميزات الائتمانات فى جزر البهاما». لم تكن أسماء العملاء تظهر على تقييم الحافظات الخاصة بهم بل إن البنك فى الواقع لم يكن يسجلها كأسماء للحسابات «كنا نقوم بإخفاء أسماء الحسابات وأرقامها بحيث لا تظهر سوى قائمة تحتوى أوراقاً مالية وأملاكاً سائلة وممتلكات يمكن تحويلها إلى نقد من المستحيل تحديد أسماء أصحابها».

قالت إنها لم تشعر أبدا أن ثمة خطأ فيما كانت تفعله، هذا على الرغم من أنها فى معظم الحالات كانت تساعد العملاء على خرق القوانين. قالت إن ما كان

يساعدها، جزئيا، على عدم تفحص ضميرها هو أنه كان دائما ثمة حالات تجعلها تعتقد أنها تقوم بمساعدة أحدهم. على سبيل المثال، لدى بلدان مثل البرازيل ما يسمى نظام حقوق الورثة الشرعيين الذى يملى من يحصل على الأصول فى العائلة بعد وفاة الأبوين ويمكن لائتمان الأوف شور الالتفاف على ذلك. ذكرت كرال إحدى هذه الحالات حيث قام بنكها بتغيير اسم الوريث الشرعى، والذى كان شابا مستهترا، ومنحت الأصول للمستفيدة المفضلة لدى العائلة وكانت ابنة ذات احتياجات خاصة.

كانت كرال تقوم باتصالات مدروسة بكبار المحامين ومديرى الأصول على أمل الانضمام إلى ما يعرف فى المهنة باستعراضات الجمال - عرض للبنوك المستعدة لتقديم الخدمات بحيث يمكن للعملاء وممثليهم استعراضها والاختيار من بينها لإدارة ثرواتهم. كان مفتاح الاختيار هو إقامة علاقة ائتمانية، يمتزج فيها الطيب بالخبيث. الجانب الطيب هو أنك تقدم عائدات قيمة آمنة عن أصولهم، أما الخبيث فهو الثقة فى أن تبقى هوياتهم سرية وخرق القانون لحسابهم. وسعيا وراء تلك العلاقات المراوغة، كانت كرال تحضر مباريات البولو، والأوبرا والحفلات الموسيقية بريو دى جانيرو، وعددا لا يحصى من وجبات إفطار وغداء وعشاء العمل بأغلى مطاعم المدينة.

وعلى الرغم من تنامى تأنيب ضميرها، انتهى الأمر بها فى العمل لدى بنك سويسرى خاص صغير أنيق بجزر الباهاما. لم يكن بنكا عاديا، قالت كرال إنه كان البنك الوحيد الذى شاهدت فيه حقيبة ملابس مليئة بالنقد. قالت «لم يحدث وأن شاهدت عميلا واحدا يدخل من باب البنك. كان المصرفيون وعملاؤهم يذهبون معا فى رحلات صيد، أو لمشاهدة عروض باليه فى بودابست. قالت «وهذه هى الأمكنة التى يحدث فيها ذلك» ومن لهجتها، بدت وكأنها تتحدث عن فعل جنسى شائن. كان البيزنس الحقيقى يعمل من سويسرا، وكانت البهاما مجرد «ساحة انتظار» أو نقطة انتقال للأموال، طبقة أخرى من السرية. أما الدافع الأكبر فكان بالطبع هو الضرورة الملحة لتلقى عائدات الجرائم وتخزينها.

قالت: «شعرت وأننى كنت أقوم ببيع شخصيتى فى سوق العهر من أجل جلب الأموال إلى البنك. ثم انتهى بى الأمر إلى أن أدرك أن البيزنس الذى كنت متورطة فيه يسهم فى استدامة الفقر فى العالم». ثم أضافت «كنت أستمتع بإثارة المغامرة لدرجة أننى لم أتوقف لأفكر ما كان بوسعى عمله سوى ذلك».

كان زملاؤها ينتمون إلى الدوائر الأرستقراطية الأوربية القديمة. وفيما كانت كرال شديدة التميز فى العمل الذى كان منوطا بها، وكان لها صلات عمل وثيقة مع نخبة المحامين والمدراء وما شابه، ظلت هناك فجوة تفصلها عنهم. قالت «كانوا يذهبون إلى حفلات مع أفراد من الأسر الملكية الحاكمة، ومع السفراء. لكننى لم أكن ضمن دائرتهم».

وقتئذ، كان يجرى إحكام تطبيق القوانين فى البهاما بقدر فى أعقاب الإجراءات الكوكبية الواهنة، وانتقلت إلى وظيفة جانبية بالبنك لتعمل مسئولة إذعان [لمراعاة تنفيذ القوانين]. تتباهى بنوك الأوف شور حاليا بالقواعد التى تتّبعها لمعرفة هوية عملائها من أجل استبعاد النقود الرديئة. قد يكون على المودعين تقديم صورة موثقة من جواز سفرهم، مثلا، وإفشاء مصدر أموالهم. أدخلت الاختصاصات القضائية مثل جزر البهاما والكايمان تلك المتطلبات إلى صلب قوانينها، وتوظف البنوك مسئولى إذعان من أمثال كرال. هذه هى النظرية، على الأقل.

فى وظيفتها الجديدة، بدأت كرال تتعلم طرقا ملتوية كثيرة للالتفاف على تلك القواعد. يطلب موظف الإذعان معرفة مصدر الأموال ويتلقى أية إجابات؛ لم يكن يطلب وثائق، حسب ما قالته كرال، التى عرفت مسئول إذعان حُظِر عليه بصراحة رؤية بعض الملفات. كان ثمة مهرب فى قانون البهاما يسمح للمؤسسة بإعفاء بعض العملاء من متطلبات اليقظة طالما كان مصدر إحالة أنشطتهم مؤسسة مالية فى اختصاص قضائى يفترض أن قوانينه صالحة. بين آونة وأخرى يقوم أحد البنوك بالإعلان عن ضبطه حالة غسيل أموال وذلك كى يوضح أنهم يطبقون القانون. قالت كرال إنهم كان يسعدهم عمل ذلك طالما لا يتم فضح شخص أو بيزنس لا يريد البنك أن يتسبب فى إزعاجه.

تم تآكل الأطر القانونية للأوف شور التى تميز بين ما هو مشروع وما هو إجرامى لبحل محلها شبكات ثقة تميز بين الراسخين المحترمين من جهة، وبين المجهولين المشبوهين من جهة أخرى. يريد الأشخاص الذين يملكون أموالا يريدون غسلها، أو استثمارها مع الحد الأدنى من الضرائب أن يعرفوا أنهم يتعاملون مع أناس يثقون أن ليس لديهم محاذير أخلاقية. إذا كان العميل مجهولا بالنسبة للمصرفيين سيكون عليه المرور من خلال كثير من حلقات الأحكام والقواعد؛ أما إن كان العميل موثوقا وراسخا تتساقط القواعد والأحكام. تلك الشبكات القائمة على الثقة والتى تحترم أرستوقراطية الثروة والمميزات الاجتماعية وتقاوم القوانين الرسمية، تُمثِّل راحة مطلقة لعملاء البنوك الأثرياء. ليس من قبيل المصادفة وجود تماثلات بين هذه السلوكيات وقواعد سلوكيات المافيا وقوانينها.

قالت كرال «على الرغم من أن تلك البنوك تتنافس فيما بينها إلا أنها أيضا تتعاون مع بعضها. رؤساء تلك البنوك جزء من دائرة للأصدقاء وزملاء العمل تلف حولها الدائرة الاجتماعية بأكلمها- بنية اجتماعية تتداخل فيها علاقات البيزنس. يقومون بتمرير البيزنس بين بعضهم. ينص القانون أن على المرء الإبلاغ عن النشاط المشبوه لوحدة الاستخبارات المالية (FIU) أو للشرطة. لكن الجميع يعرفون بعضهم فى مثل تلك الأماكن الصغيرة. لا يستطيع أحد أن يثق أن يتم التعاطى مع البلاغ بسرية أو من خلال القنوات الصحيحة. ثمة احتمال ضخم أن يكون هناك من يعمل فى FIU أو الشرطة على صلة وثيقة بالبنك الذى يعمل به.. وبإمكان ذلك أن يلحق الضرر بمقدم البلاغ لإثارته القضية».

كان من المفترض أن تقوم كرال بتفحص الحركات المشبوهة على الحسابات - وكان ثمة الكثير منها. نبَّهت مدراءها مرات عدة لكنهم كانوا يردُّون قائلين «هذه عمولات». أكانت رشاوى؟ عمولات عن ماذا؟ قالت إنها مضت تسألهم ولم تتلق إجابات. قالت إن إحدى شركات الائتمان والتى كان مقرها سويسرا وكانت على علاقة بالبنك الذى تعمل به لم تكن تعرض شيئا على موقعها الإلكترونى باستثناء

بعض الصور لنافورة جميلة بجنيف. أضافت «كانت المستندات الزبالة التى يقدمونها لنا لا تصدق، ولا يمكن أن تنطلى على أى وكيل أو وصى مسئول. لم يكن لدينا أى سند يوضح من واهب الائتمان أو ما الأصول أو مصدرها. اعترضتُ بشدة، لكن البنك كان يتقبل ذلك».

مضت محاذيرها تنمو بمرور الوقت وبدأت تشعر بالوحدة الشديدة فى المكان. «لم أستطع إخبار خطيبى - كان من المفترض أن ألتزم بالسرية المصرفية. كان يعرف أننى أعانى من ضغوط شديدة بسبب أشياء لا أستطيع التحدث عنها. وعلى الرغم من أنه كان إنسانا صبورا إلا أنه لم يكن يسيرا بالنسبة له، أن يجدنى فى نهاية اليوم شاحبة منهكة ومريضة، فى وجود أشياء تحدث لا يستطيع أبدا معرفة شىء عنها».

تحدثتْ إلى مسئولى إذعان آخرين ووجدتهم يشعرون بالعجز مثلها. تتذكر: «الخوف كان يعم المكان. كنت أشعر أننى أواجه معضلة.. يريد معظم العاملين أداء عملهم، وحماية البنك والبلد من الفضيحة، وأيضا أداء واجبهم الأخلاقى والقانونى».

ثرثرت مع كرال عن تجاربى فى جزر الكايمان مؤخرا. عما حدث حينما كشفتُ لإحدى أوائل الشخصيات التى أجريت حوارات معها فى الكايمان عن روابطى مع منظمة ناقدة للملاذات الضريبية. انتهى ذلك اللقاء فى غضون دقائق. كان صديق مشترك قد أحالنى إليها، وبعد لقائنا تلقى صديقى عدة إيميلات منها تذكر كيف شعرت بعدم الارتياح بعد اللقاء وتؤكد على ذلك، وتطلب وعدا بعد وعد بألا أذكر اسمها أبدا.

دائما ما بدا الأشخاص الذين التقيتهم يشعرون بأنه من غير اللائق أن أوجه إليهم أسئلة حول كيف يمكن لأى شخص أن يوازن بين ازدهار سكان الجزر البالغ عددهم ما يربو قليلا على ٥٠٠٠٠ نسمة وثرائهم ضد مصالح ٣٥٠ مليون أمريكى شمالى، و٦٠٠ مليون أمريكى لاتينى، أو ٦٠٠ مليون إفريقى. فى أفضل الأحوال

كانوا يغيرون الموضوع. لكن، ما كان يثير دهشتي بدرجة أكبر هو أنني ورغم ثقتي في أنني كنت أجد نفسي أشعر بالخزي حينما أعبّر عنها في جزر الكايمان. فهمت كرال تلك المشاعر على الفور. قالت «حينما كنت أخطط للرحيل من جزر البهاما، كان أصدقائي هناك يقومون بتعريفي بفرص أخرى في مجال المصارف الخاصة. كانت فكرة مواصلة العمل في تلك المهنة تشعرني بالقرف لدرجة الغثيان الجسدي، هذا على الرغم من وجود أصدقائي الأعزاء حولي يؤدون نفس العمل في تلك الصناعة ويحاولون مساعدتي. كيف كان لي أن أقول لهم إنني لا أستطيع مواصلة العمل في ذلك المجال فيما كانوا هم مازالوا يعملون به. شعرت بالدنس والقذارة من كل اتجاه، القذارة لأنني مارست ذلك العمل، وشعور بالدنس لأنني لم أكن صادقة وصريحة كما يجب مع أصدقائي».

أبلغتني ستافني پاديلا – كالتنبورن، وهي أم لطفلين وتجمعني بها صداقة قديمة، وكانت تسكن الكايمان حتى وقت قريب، أنها حينما انتقلت للعيش هناك سرعان ما أدركت أن ثمة حدوداً غير منطوقة للفضول والصراحة. قالت «حينما تعيش هناك، فإن ثمة شعوراً بوجود شيء تحت سطح الأشياء، ولم أرِد أن أنظر. عرفت أن الإجابة ستكون معقدة بدرجة تفوق قدرتي على التعامل معها، لا تستطيع التحدث إلى الناس. ثمة خط غريب غير مرئي لا تستطيع عبوره. إنها حالة عقلية شبه/ اختيارية من الرقابة الذاتية».

لدى زيارة لي لجزر الكايمان عام ٢٠٠٩، كنت أثرثر مع سياسي كايماني رفيع المستوى في منزله، حينما دخل رجل كايماني أسمر البشرة متين البنية في أربعينيات عمره، يلبس قميصا أزرق برقبة عالية، وشورت كاكي ونظارة شمسية وقدّم نفسه بصفته «الشيطان». علمت أنه كان يعمل في مجال تطبيق القانون الدولي وأنه كان قد قضى أعواما يتقصى الخطايا الكوكبية المتفشية بجزر الكايمان. ذكر، على سبيل المثال بعض عمليات تاجر السلاح الدولي ڤيكتور باوت والتي لم تصل الإعلام أبدا وتحدث عن صناديق التحوط وصناديق الأموال

المشتركة، والناقلات ذات الأهداف الخاصة والقطاعات التى تعمل فى أموال الجريمة وترتكب الجرائم وغير ذلك مما يجرى بجزر الكايمان، هذا على الرغم من أنه رفض الدخول فى أية تفاصيل. حذرنى وقال إن علىَّ أن أراعى سلامتى الشخصية لأن المكان شرير خبيث. قال إنه اهتم بالكشف عن أشياء يحرص المسئولون على أن تظل مخفية، وجعله هذا عدوا للمؤسسة، ولهذا السبب، أسمى نفسه بالشيطان، لأنهم يعاملونه كشيطان. قال إنهم يفرضون على من لا يروقهم العزلة الاقتصادية ويدمرون مصداقيتهم ونزاهتهم ويجردونهم من كرامتهم ويلتزمون بالعمل وفقا لقانون الصمت. قال إن ثمة عصبة سرية، يجتمع أفرادها ويقررون أن شخصا ما يتسبب فى المشاكل، ويرسلون إليه الإشارات؛ وإن الشبكات الماسونية ذات السطوة وغيرها تنشط بالمكان. قال إن العصبة لا تضم السياسيين لكنهم يخبرونهم بما عليهم فعله. تدخل مضيفى قائلا إن أسلوب الحديث عن تلك العصبة يماثل الأسلوب الذى يتحدث به المرء عن الأشباح. قال «الشيطان» إن الأمر الصعب هو أن هؤلاء الذين يرتكبون ما يعتبره المجتمع الدولى أمورا غير مشروعة أعضاء فى مجالس الإدارات، ويحتلون مناصب رفيعة وينظر إليهم على أنهم رجال دولة.

تفتخر جزر الكايمان بقوانينها التدخلية التى تستوجب معرفة كل شىء عن العملاء، وتلك القوانين متشددة على الورق فقط، حيث إنه، وكما اكتشفت بث كرال بالبهاما فإن تلك الأحكام والقوانين لا يُعمل بها إذا كان الشخص أو البيزنس جزءا موثوقا من الشبكة. قال الشيطان «إذا لم يكن لك علاقة مع إحدى المؤسسات، سيصرون على معرفة كل شىء عنك، حتى مقاس ملابسك الداخلية، أما إن كانت لك علاقة ظلت قائمة لفترة زمنية مع أحد البنوك، فلا تنطبق القواعد عليك. أيضا إذا ثبت أنك شخص ثرى، لا تتم مساءلة صدقيتك». ذكرتنى كلماته بمذكرة داخلية فى بنك ريجز كشفت عنها عام ٢٠٠٤ لجنة تقصى الحقائق الدائمة الأمريكية. تقول المذكرة «العميل شركة استثمارات خاصة تتخذ من البهاما موطنا لها وتُستخدم

كناقلة لإدارة احتياجات الاستثمار للمالك المستفيد، وهو مهنى متقاعد حقق نجاحا كبيرا أثناء حياته الوظيفية، وراكم ثروة أثناء حياته تمكنه من التقاعد بأسلوب نظامى». كان «المهنى المتقاعد» هو أوجست بينوشيه الطاغية التشيلى والقائد الأعلى لعمليات التعذيب.

فيما بعد، أعدتُ قصة «الشيطان» وحكاية كرال على أسماع محاسب كان قد عمل بجزر الكايمان، وأكد لى جازما مصداقية كل ما جاء بهما. قال إن التهديدات التى يتلقاها «الفضوليون» جادة، وأنه قد ينتهى بهم الأمر إلى السجون والمعتقلات ثم روى لى عدة قصص عن حالات موت غامضة بما فيها قصة فردريك بيس وهو مصرفى سويسرى وجد ميتا فى شنطة سيارة محترقة ووجد على جسده آثار إصابات بآلات حادة.

وصف محدثى الذى كان قد عمل مديرا لصناديق تحوّط، ومسئول إذعان، وكبير محاسبين، كيف أنه بدأ ببطء يعرف ما كان يحدث، قال «بدأت أشعر بعدم الارتياح بعد وصولى بثلاث سنوات أو أربع. كنا نُدير البيزنس من خلال الحسابات وهو أمر بدا لى مشبوها. كان بإمكانى أن أجمع بعض المعلومات من هنا وهناك لأصل إلى بعض النتائج لكن لم يكن باستطاعتى طرح أى أسئلة. حتى إذا كان لديك إشارات أو قرائن، لم يكن باستطاعتك التحدث. لكننى تحدثت وكانت النتيجة أننى كنت أتلقى معلومات أقل فى الاجتماعات. كانت المعلومات تتم مناقشتها مسبقا. شعرت أن ثمة تمثيلية كانت تؤدى». بدأ يصبح موضع الشكوك وبدأوا يثقلونه بالعمل: ١٢٠٠ ساعة عمل إضافية فى العام دونما مكافأة حيث أبلغه المدير التنفيذى أن ذلك كان جزءا من وظيفته.

«فى غضون عامين كان قد جرى تغيير ما بين ٤٠٪ إلى ٥٠٪ من العاملين كان يتم التخلص ممن لا يتوافقون مع النظام. اطرح أسئلة، يتم فصلك أو تحميلك أعباء أكثر من طاقتك حتى تستقيل. لم يتم هذا بأسلوب واضح صريح، مثلا، لا يستدعونك إلى اجتماعات ويطلبون منك عدم طرح أسئلة، إنهم أناس مثقفون

متعلمون - لديهم وسائلهم الخاصة لتوصيل الرسائل. نتعلم قراءة ما بين السطور لا يقولون إنني أهددك، بل إن هذا الشخص لا يتسق مع الصورة. لقد قضيت أعواما طويلة فى هذا البيزنس وأعرف ما يعنونه».

يحتاج المرء إلى تصريح عمل كى يقيم بجزر الكايمان؛ إذا تسبب أى أحد فى مشاكل - سواء كان مسئولا بالشرطة، أو محاميا، أو منظّما، أو مراجع حسابات - يقوم مجلس الحماية بكايمان، الذى يمنح التصاريح، بإلغاء تصريحه. يدرك الأجانب بكايمان هشاشة وضعهم.

أردف محدثى قائلا إن معظم من يعملون بالأوف شور لا يرون سوى أجزاء صغيرة من الصورة الكبرى كى لا يستوعبوا ما يجرى:

مثلا، إذا تم إنشاء ائتمان بكايمان، فيما توجد حافظة، الأوراق المالية بسويسرا، لن تستطيع الحصول سوى على أقل القليل من المعلومات فى كايمان ولن تعرف سبب ذلك. إن من يرتكبون الجرائم- الذين ينشئون الائتمان أو الناقلة ذات الأهداف الخاصة يجلسون فى نيويورك أو لندن. أما الموظفون، فهم فى معظمهم أناس شرفاء يحاولون بذل جهدهم؛ والمحامى أو عضو مجلس الإدارة المنتدب، أو كبير المسئولين عن العمليات هم من لديهم المعلومات.

«إذا أطلقت صفارة الإنذار ومكثت بالجزيرة، لن تكون لديك أية حماية. إذا تحدثت بصراحة فى أحد الأماكن، ستعمل الشبكة بأسلوب بحيث لا تتمكن من الحصول على عمل مرة أخرى أبدا. إنه انتحار جسدى واقتصادى. ليس ثمة سبيل تحصل به على الحماية. أشاهدت فيلم The Firm [المؤسسة] لجون جريشام؟ إن الأوضاع هنا أكثر سواء. لا يقتصر الأمر على المحامين، بل يشمل البيئة السياسية بأكملها».

ثمة ما يخنق المعارضة فى الحياة بالجزر، ويشجع أسلوب التوافق مع الجماعة السائد. فى روايته «الثلوج تتساقط على أشجار الأرز» يبلور دايڤيد جوترسون جوهر هذا المزاج النوعى. يقول «إن العدو فى الجزيرة عدو إلى الأبد. ليس ثمة

فرصة للنمازج فى مثل تلك الخلفية المجهولة، ليس ثمة مجتمع مجاور تنتقل باتجاهه. يتطلب مشهد الجزيرة نفسه من ساكنيها مراقبة خطواتهم لحظة بلحظة، يعانون كثيراً من الكوابح النفسية التى تجعلهم يخشون الانفتاح على الأغراب».

لا تستطيع الاختباء فى جزيرة صغيرة. تجعل قدرة سكانها على الحفاظ على إجماع مؤسسى وقمع مثيرى المشاكل من تلك الجزر أماكن مضيافة بخاصة لأنشطة الأوف شور المالية بحيث يطمئن رجال المال الدوليون على أنهم يمكنهم الوثوق بالمؤسسات المحلية كى تحول دون وجود سياسات ديموقراطية تتدخل فى بيزنس صناعة النقود. لم يكن مصدر هذا التوافق الجمعى هو جزر الملاذات – فهى مجرد عُقدٍ محصنة فى شبكات القوة الكوكبية الأكبر بقيادة بريطانيا وغيرها من القوى الكبرى- لكنها غدت تؤوى تكتلات من التوجهات المعادية للحكومات، القامعة للفقراء والمستهينة بهم والتى مصدرها أماكن أخرى، تُجمّعها وتسمح لها بالازدهار دونما رقابة أو كبح.

يصف چون كريستنسن، المستشار الاقتصادى المنشق، كيف واجه مواقف أوف شور يمينية متطرفة لدى عودته عام ١٩٨٦ إلى موطنه بجزيرة چرسى فى أعقاب انتهاء عمله بالخارج كاقتصادى تنمية. كان ذلك عام التحرير المالى الأكبر الذى قادته ذا سيتى أوف لندن ووجد ذلك الملاذ الضريبى وسط طفرة ازدهار مذهلة. كان العمل يجرى على قدم وساق لهدم البيوت القديمة ومحال هدايا السياح والمحال التجارية بسانت هلير عاصمة چرسى الجميلة ليحل محلها بنوك ومبانٍ مكتبية ومواقف سيارات وبارات. ذهب إلى وكالة توظيف حيث أخبروه أن بإمكانه الحصول على الوظيفة التى يريدها. وفى اليوم التالى، تلقى ثلاثة عروض.

بدأ العمل مع شركة محاسبية واختص بمائة وخمسين عميل خاص. كانت الشركة تؤدى عمليات التلاعب بالفواتير reinvoicing، تلك الممارسة التى وصفتها سابقا حيث يتوافق الشركاء التجاريون على سعر للصفقة، ثم يقومون بتسجيله رسميا بسعر آخر وذلك من أجل نقل بعض النقود سرا عبر الحدود. من بالغ

الصعوبة تبين كمّ الأموال التى تتدفق من خلال تلك الممارسة. تقدر «منظمة النزاهة المالية» بواشنطون أنه يجرى استنزاف حوالى ١٠٠ مليار دولار سنويا من البلدان النامية من خلال تلك الممارسة وحدها. ويماثل هذا حجم المعونات الأجنبية من البلدان الغنية جميعها. إضافة إلى ذلك- وحسب ما قاله كريستنسن، فقد كانت الشركة المحاسبية تمارس يوميا أعمال الأوف شور المعتادة الخاصة بهروب رءوس الأموال وتحاشى الضرائب ونقل رءوس الأموال إلى الخارج.

عمل كريستنسن بتلك الشركة المحاسبية مدة عشرين شهرا وكان يتعاطى بشكل أساسى مع عملاء مقيمين ببلاد قد ارتبطت تاريخيا ببريطانيا، مثل جنوب إفريقيا، حيث كان الكثير من عمله يتعلق بالتهرب من العقوبات المناهضة للأپارتايد، وبنيچيريا وكنيا وأوغندا وإيران. قال إنه كان شخصا مطّلعا وكان يقوم منهجيا بدراسة آلاف الملفات. وتدريجيا، بدأت الصور المختلفة تتشكل أمامه. مثلا أدرك، فى إحدى الحالات أن العميل كان شخصية سياسية يُخفى هويته. علِم أيضا أن سياسياً فرنسيا يمينيا رفيع المستوى كان يستخدم نفوذه للحصول على تراخيص تخطيط لحساب بعض المستثمرين وصفقات ملكية فى أنحاء فرنسا، ولم يكن يتسنى لأحد فى فرنسا اكتشاف تلاعبات ذلك السياسى لأن الإجراءات كانت تتم فى چرسى. أيضا، فإن تدرج السلم الوظيفى لا يتيح لصغار العاملين بالأوف شور، معرفة سوى جزء العمل المناط بهم فقط والذي لا يكشف شيئا. لكنه، وبصفته شخصا مطلعا على بواطن الأمور أمكنه تجميع المعلومات عن التلاعبات السوقية والتبادلات التجارية البينية – قال إن المتلاعبين والمزورين كانوا ينتمون إلى أسر كبيرة ويحتلون مناصب رفيعة. لكنه رفض الكشف عن أية تفاصيل محددة لأنه كان قد وقّع على أيمانٍ وعقود نافذة مدى الحياة، وكان الحنث بها يعنى أن يُقتل وتلقى جثته فى حفرة.

مضى يقول إن التلاعب بالفواتير reinvoicing هو من إجراءات البيزنس العادية فى عالم الاختصاصات القضائية التى تلتزم بالسرية. «كانوا يعتقدون أنها

من ممارسات البيزنس الطيبة ويبررونها بأساليب كثيرة: يحمى الأجانب أموالهم من المخاطر السياسية أو العملات غير المستقرة؛ شعوب إفريقيا تعانى الفقر لأنهم فاسدون ولا يحبون العمل؛ البلاد فقيرة، من ثم فنحن نرسل لها أموال المعونات. كانوا يرفضون مجرد التفكير فى النظم الاقتصادية.

عمل مع العملاء، الواحد تلو الآخر فيما أصبح نهر النقود الذى يتدفق على جرسى فيضانا. حينما عبّر عن عدم الارتياح عن أصول بعض تلك الأموال، وكان الكثير منها يتدفق من إفريقيا. تم تجاهله. وفى أحد أيام الجمعة، وقبل فترة استراحة منتصف النهار أخبرته مشرفة القسم الذى يعمل به أنها لا تريد مناقشة هذه الأمور وأنها لاتهتم البتة بإفريقيا، تلك القارة المتخلفة اللعينة. كان موقفها نمطيا. كانت الربحية مرتفعة إلى حد الإفراط، ولم يحاول أحد أن يرى الرابطة بين أفعالهم وإجراءاتهم والجرائم التى ترتكب فى حق الأماكن الأخرى والظلم الذى يقع عليها. «لم يهتم أحد من الوسطاء الماليين المتورطين – البنوك، مكاتب القانون والمحاماة، المحاسبين، مكاتب المراجعة المحاسبية– بالإبلاغ عن التحويلات غير المشروعة أو حتى مساءلتها». التقى أحد معارفه فى طفولته، وكان قد أصبح محاسبا قانونيا، وجلسا يتحدثان فى أحد الأماكن العامة:

أخبرته عن الهند وماليزيا، وعن تهريب الأموال وما شابه – لكنه سرعان ما أبدى عدم الاهتمام. لم يكن يهتم سوى بالتوافه: حفل ليلة البارحة، نوع السيارة التى أقتنيها ومن أضاجع– إلخ. أصبت بصدمة. كانت الأفكار التى ألتقيها فى جرسى متطرفة: عنصرية عميقة، مشاعر قامعة، توجهات استهلاكية عدوانية بشعة، وكراهية شبه متعصبة لأية أفكار تقدمية».

اقتضى الأمر سنوات حتى تسربت بعض التشريعات التقدمية إلى جرسى من العالم الخارجى. بعد عودته إلى جرسى عام ١٩٨٦، تصادم كريستنسن مع السير چوليان هودج، أحد أعمدة المؤسسة المصرفية فى جرسى ومن كبار المدافعين عن التمييز العنصرى والدعاة إلى الإمبراطورية، والتحرير الاقتصادى المطلق، كما

يتذكر شجارا فى اجتماع عام بينه وبين المقدس بيتر مانتون، وكان رجل دين أنجلكانيا وعضوا بمجلس شيوخ جرسى حيث قال علنا إن حال السود فى ظل نظام الأبارتايد بجنوب إفريقيا كان أفضل من حالهم فى أى مكان آخر. كان السياسيون هناك معادين للمساواة بين الرجال والنساء ولتوفير الفرص المتساوية للنساء، ولجميع أشكال الديموقراطية السياسية والاجتماعية، مثل نظرائهم فى مراكز الأوف شور الأخرى.

من السهل فى الاختصاصات القضائية الصغيرة – وليس الجزر بالضرورة – ظهور عُقَد النقص الجماعى، حيث يرى السكان أنفسهم بصفتهم مدافعين شجعاناً عن المصالح المحلية فى مواجهة ضراوة جيرانهم الأكبر وفتونتهم. ليس ثمة سوى خطوة صغيرة واحدة تفصل بين تلك النظرة الذاتية التى لا تثق فى الآخرين، وبين نظرة التحرر من الأحكام والقوانين التى ترى أى منفعة ذاتية تقوم على حساب الأغراب نوعا من المقاومة الشجاعة ضد الطغيان. بالطبع، تتعاشق تلك النظرة مع إطار الأوف شور الأخلاقى القائل بأن مشاكل الآخرين لا تخصهم والاعتقاد بأن حقوق المواطنين والحكومات فى الأماكن الأخرى غير منطقية ولا أهمية لها، وأن الديموقراطية تعنى طغيان الجماهير والنظر إلى فكرة المجتمع ذاتها بغير اهتمام، بل وبازدراء.

يتسق توفير منشآت يتلافى من خلالها الأجانب دفع الضرائب فى بلادهم مع هذا الإطار، وكذلك كراهية الضرائب العامة. يمكن أن تصل هذه المشاعر إلى حد التطرف. يُسمّى كونراد هاملر، وهو مصرفى سويسرى رفيع المستوى، ألمانيا، وفرنسا وإيطاليا «دولا غير شرعية» بسبب ضرائبها العالية، ويعتبر التهرب الضريبى دفاعا مشروعا من قِبل مواطنين يحاولون الهروب من القبضة الحالية لمن يديرون دول الرفاه الاجتماعى الكارثية وسياساتها المالية.

تتميز مواقف الأوف شور بالتماثل بين الذرائع والنهج والأساليب والتوجهات النفسية لجماعة كوكبية متماثلة فكريا وثقافيا لكنها موزعة جغرافياً. يسكن عالم

الأوف شور مزيج غريب من الشخصيات: أفراد من الطبقة الأرستوقراطية الأوروبية القديمة ممن مازالوا يملكون القلاع؛ مؤيدون متعصبون لإين راند الكاتب اليميني الداعي للتحرير الاقتصادي أعضاء من وكالات الاستخبارات العالمية، مجرمون كوكبيون وسياسيون مستبدون سابقون نهبوا شعوبهم، خريجو المدارس النخبوية البريطانية، وعدد وافر من المصرفيين، ومجموعات من اللوردات وسيدات المجتمع الراقي. بعبع الجميع هو الحكومات والقوانين والضرائب، وشعارهم الحرية.

كما يوضح كريستنسن، كان تركيز المواقف المتطرفة بچرسي داعما لذاته. قال: «غالبية الأشخاص الليبراليين من أمثالي غادروا الجزيرة ليلتحقوا بالجامعة ولم يعد أحد منهم تقريبا. شعرت بالقتامة والاكتئاب على غير عادتي. بدا وأن كل القيم التي كنت أومن بها لم يعد لها أهمية. ولم يكن ثمة من ألتجئ إليه». كان على وشك الرحيل لكن مارك هامبتون، الباحث الأكاديمي الذي كان يحاول تجميع إطار يُفهم من خلاله الملاذات الضريبية أقنعه بأهمية فهم النظام من الداخل. قال كريستنسن «تخفّيت، ليس لأنني كنت أريد أن أهيل القذارة على الأشخاص والشركات، بل لأنني لم أستطع فهم النظام، وكذلك لم يستطع الأكاديميون الذين تحدثت معهم. لم يكن ثمة أدبيات ذات قيمة عن الموضوع». مضى كريستنسن يواصل عمله على الموضوع لمدة اثنتي عشرة سنة، وعمل في عدة شركات قبل أن يصبح مستشار چرسي الاقتصادي، وعندما تم تعيينه في ذلك المنصب في عام ١٩٨٧ بدأ يشعر بضغط ما يعنيه الوقوف في مواجهة الإجماع الكامل الشامل. وُوجِه بمقاومة شرسة أثناء اجتماعات للجنة المالية والاقتصادية واللجان الحكومية الأخرى، ووجد أن التعبير عن عدم الموافقة كان يتطلب منه الجهد والقوة والشجاعة. شعر بأنه كان ينتحر.

ثمة مقولات محلية ثلاثة تُكَبسل المواقف في چرسي: «لا تنشر غسيلك الوسخ على الملأ»؛ «لا تُقَلقل القارب»؛ «إذا لم ترقك الأمور هنا، يمكنك أن تستقل قاربا في الصباح وترحل».

تمتلئ چرسى بالشبكات والجمعيات النخبوية السرية التى تقوم على أساس العضوية. والتى تتخلل الحياة فيها، وترتبط نمطيا بالقطاع المالى. بعد أن تم تعيينه مستشارا اقتصاديا وجد كريستنسن الكثيرين يأتون للقائه ويطلبون منه الانضمام إلى محفلهم الماسونى ويعرّفونه على العلامة السرية: ثنْيِ سبابته على نفسها لدى المصافحة. قال إن هؤلاء كانوا أشخاصا لا يكاد يعرفهم يأتون إلى مكتبه ويمضون فى الثرثرة، ثم يطلبون منى صراحة الانضمام إلى المحفل. كان هؤلاء مصرفيين، وتجارا كباراً، وسياسيين رفيعى المستوى، أضاف إن المرء لا ينظر إلى أيدى هؤلاء، لكنه يشعر بنتوء يشبه الورَم لدى مصافحتهم. شعر أن ثمة قذارة صبيانية فى تلك الممارسات، وأنها كانت تشبه سلوكيات شلِل الطلبة القدامى، «إما أنك معنا، أو ضدنا». إذا كنت منهم «كان هذا يعنى أن بإمكانهم الثقة بك أن تفعل الصواب دون أن يخبرك أحد – معنى خبيث للَفظ «ثقة». وفى النهاية صنفونى على أننى غير أهل للثقة وكثيرا ما سمعتهم يقولون إننى لست واحدا منهم».

خضع الإعلام أيضا للإجماع المؤسسى العام. كانت شركة يترأسها السناتور فرانك ووكر، الذى كان يترأس أيضا «لجنة المال والاقتصاد» ذات السطوة وأحد أعتى المدافعين المفوَّهين عن صناعة چرسى المالية، كانت هى مالكة أهم صحيفة بچرسى حتى عام ٢٠٠٥، ولم يجد سوى القلة القليلة فى هذا أمرا شاذا. ترك ووكر الصحيفة عام ٢٠٠٥، وعلى الرغم من أنها الآن تنشر بعض وجهات النظر المعارضة بين آونة وأخرى، إلا أن تَوجّهها التحريرى الغالب ومحتواها، يحابى بقوة صناعة الملاذات الضريبية.

دائما ما تكون النخب غير الخاضعة للمحاسبة غير مسئولة وقد خبرت بنفسى جزءا من عفن نظام الحكم بچرسى فى اليوم الأول من زيارة قمت بها للجزيرة فى مارس ٢٠٠٩ حيث كان العنوان الرئيسى لصحيفة چرسى إيفيننج پوست هو «المجلس فى فوضى عارمة» وأوردت تلك القصة الإخبارية كيف اشتكى السناتور ستوارت سيڤرت، السياسى المحلى الخلافى الذى يتمتع بشعبية، أثناء انعقاد جلسة

المجلس النيابي من أن وزير الصحة الذى كان يجلس إلى يمينه كان يهمس فى أذنه بشتائم بذيئة ذكرها، وكيف أن الوزير وقف وأنكر الاتهامات، وكان البى بى سى يبث وقائع الجلسة على الهواء.

ظل سيڤرت ضحية محاولات قمع الاعتراض. قال «يتم إخضاع أية شخصية معادية للمؤسسة للرقابة. ثمة مناخ من الخوف. إن من يجرؤ على الاختلاف يصبح شخصا معاديا لچرسى، عدوا لچرسى، خائنا وغادرا. تسود المكان البروپاجندا الستالينية». بعد بضعة أسابيع من زيارتى، ألقى ثمانية ضباط شرطة القبض على سيڤرت واحتجزوه سبع ساعات فيما قاموا بتفتيش منزله، وملفاته الخاصة بما فى هذا حاسبه. فى اليوم التالى أخبره مدير موقعه الإلكترونى أن أحدهم كان يحاول قرصنة «كلمة السر». حينما قمت بمهاتفته بعد ذلك مباشرة وجدتُ أنه قد سجل رسالة على آلة الرد الآلى تعكس شخصيته المشاغبة: «لا تخيفك رقابة الشرطة وتنصتهم على هاتفى. تحدث بحرية لأنك لا تخرق القانون».

فى أكتوبر ٢٠٠٩، وفى أعقاب اتهامه بتسريب تقرير للشرطة عن سلوك إحدى الممرضات، هرب سيڤرت إلى لندن وطالب، بمجلس العموم، بحق اللجوء السياسى قائلا إنه لا يمكنه أن يلقى محاكمة منصفة بچرسى. قام چون هِمنج، عضو البرلمان عن الحزب الديموقراطى الليبرالى، باستضافته فى شقته وأعلن أنه لا ينبغى السماح بتسليمه إلى چرسى كى يمثُل أمام محكمة لا تراعى مبادئ القانون والعدالة. وحينما عاد سيڤرت إلى چرسى فى مايو ٢٠١٠ ليخوض معركة انتخابية ألقى القبض عليه بالمطار حيث قال «إن هذا مجتمع بدون كوابح أو توازنات تحكمه أوليجاركية مستبدة. إنها دولة حزب واحد، وقد ظلت هكذا لقرون عديدة».

بما أنه من الصعب الإيتان بتبريرات فكرية منطقية لاستضافة نظام أوف شور مالى سرى، فإن الأسلوب المتبع السائد هو الهجوم على المعارضين. تتكون معظم تلك الهجمات من ادعاءات وضيعة وإلماحات وتشويهات للسمعة: هذا الشخص جاهل، يدفعه الحقد، يتميز بالأمية الاقتصادية، غير أهل للثقة، مختل أخلاقيا أو

مختل عقليا. يتذكر الدكتور مارك هامبتون، الأستاذ المحاضر بجامعة بورتسماوث والذى اعتاد الذهاب إلى چرسى فى رحلات ميدانية، كيف أن السلطات كانت متعاونة معه إلى أن وجه نقدا علنياً لوضع چرسى كمركز أوف شور، وأصبح ذا حضور بالإعلام. غَدَت زياراته الميدانية غير مرحب بها. قال هامبتون «بدأوا ينشرون تقارير سلبية عنى ويوجهون إلىّ البذاءات. أوحوا بأننى أحمل دكتوراه مشبوهة زائفة، وقالوا إننى أقوم بتزييف تقاريرى، وإننى مُدّعٍ تافه. رفضوا إضافة لقب دكتور إلى اسمى. لا أهتم بذلك، بل إن طلبتى ينادوننى باسمى مجردا. لكن هذا كله كان وسيلة لنزع صفة المهنية عنى».

قال چف ساذرن، وهو نائب معارض، إنه الآن يحاول ألا يدلى بآرائه علناً، وأن آخر مرة فعل فيها هذا، نشرت صحيفة چرسى إيڤيننج پوست صورته فى هيئة هتلر. يصف هو وصديقه السناتور ترڤور پيتمان كيف يتم تصنيفهما على أنهما «مخربان لجرسى» أو «الأعداء الداخليون». يُتهمان علنا بدوافع حقد شخصية، وتصدر إلماحات بوجود دوافع أشد قتامة. حينما تحدثنا، كان ساذرن، وشونا، زوجة پيتمان و هى أيضا نائبة بالبرلمان، يحاكمان بتهمة مساعدة السكان العجزة والمعوقين على ملء طلبات للتصويت بالبريد، وكان هذا خرقا للقانون الانتخابى الغامض. وُجِدا مذنبيْن وحُكِم عليهما بالغرامة.

كثيرة هى القصص التى استمعت إليها ممن تجرؤا على إبداء اعتراضات على ممارسات الأوف شور السرية بچرسى أو على نهب النخبة الحاكمة للأموال، وما تعرضوا له من قمع وتشويه سمعة وبذاءات، وقالوا إن على قمة قائمة من يوصفون بالخونة، بدرجة فرض العزلة الاجتماعية عليهم، هو كريستنسن. أكد لى من تحدثت إليهم جوَّ الخوف والرعب الذى يسود المكان كما وصفه سيڤرت.

وعلى الرغم من أن چرسى قد تبدو بريطانية جدا للزائر العابر، بيد أنها مختلفة جداً جداً عن بريطانيا التى أعرفها.

• • •

فى الدول شديدة الصغر يعرف الجميع بعضهم، من ثم، فإن تعارض المصالح

والفساد أمور حسمه. يمكن للمطلعين على بواطن الأمور بچرسى أن يمضوا ساعات وهم يتحدثون عن هذه الأمور، وعن الفساد بخاصة. أحيانا يكون تعارض المصالح جزءا متعوضنا فى البنية السياسية ذاتها. لسنوات عديدة، تولّى ويليام بيلهاتشى، المدعى العام، قضايا فى محاكم تخضع لإشراف شقيقة السير فيليب بيلهاتشى، العمدة أو «مساعد الشريف». بچرسى والذى يُعيّن من قبل ملكة إنجلترا، ويتولى فى نفس الوقت منصب كبير القضاة بمحكمة چرسى الملكية ورئيس مجلس النواب. بتعبير آخر، يشرف شخص واحد على الحياد القضائى، فيما هو مسئول أيضا عن إبراز صورة لاستقرار الحياة السياسية وتمتعها بالاحترام. من ثم، تصبح الفئة المهيمنة مرادفة لمصالح جميع السكان. ليس ثمة مراكز دراسات أو جامعات مستقلة، أو كيان صغير للخدمة المدنية، أو فصل واضح بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، أو مجلس تشريعى ثانٍ لتفحص مداولات مجلس النواب وقراراته. يقول كريستنسن إنه أثناء عمله مستشارا اقتصاديا لچرسى، لم يكن من المسموح للجمهور حضور اجتماعات اللجان، أو تفحص أجنداتها أو أوراق سياساتها، كما أنه لا يوجد سجل للنقاشات البرلمانية حول القوانين المهمة.

تمتد تلك المشاكل لتشمل الأسلوب الذى تدار به صناعة المال. لا يوجد فى چرسى إجراءات ذات مصداقية مستقلة لتفحص أنشطة الأوف شور المالية أو تنظيمها. فى عام ٢٠٠٢، أوجز إصدار عن اتحاد الشئون الحسابية والبيزنس، وهو أحد أكثر تحليلات سياسات چرسى تفصيلا، الوضع بوضوح: «معظم سياسيى چرسى رجال أعمال. يمارسون الضغوط لصالح البيزنس ويعملون من أجل مصالح البيزنس. يقومون بصياغة التشريعات وتنقيحها وتمريرها. أيضا، يعملون أعضاء فى الكيانات التنظيمية، أى أنهم، واقعيا، يعملون «حراساً لبوابات» [البيزنس] ويقومون فى نفس الوقت بالفصل فى الشكاوى منه وفى ممارساته السيئة. يشغل السياسيون مناصب فى مجالس إدارة الشركات التى من المفترض أن يقوموا بتنظيمها».

وعلى الرغم من أن العلاقات الوثيقة حتمية فى جزيرة صغيرة كتلك، إلا أنه، ولهذا السبب تحديدا، فإن چرسى تحتاج لمزيد من عمليات التفتيش، ومزيد من الشفافية لإيجاد توازن فى مواجهة التوجه المتعضون لتعارضات المصالح. ولهذا أهمية خاصة حيث إن چرسى تلعب دورا مهما فى المجال المالى العالمى. إنه يؤثر فى حياتنا جميعنا. يكره الممولون المتخوفون الأماكن الفاسدة بدرجة الفوضى، وكذلك يكرهها منظمو الأوف شور. تواجه الاختصاصات القضائية التى تتسم بالسرية والغارقة فى القانورات هذا بابتداع أداءات نزاهة متشددة، «مسرح استقامة» يقتضى عرضاً متكرراً للرسالة الأساسية – «نحن نظاف، جيدو التنظيم، اختصاص قضائى شفاف ومتعاون» – رسالة تصقلها وتُلمِّعها تعليقات وإطراءات مختارة بعناية لكلاب حراسة الأوف شور منزوعة الأنياب مثل قوة مهمات العمليات المالية الخاصة التابعة لصندوق النقد الدولى أو بلدان منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية. يعتمد هذا المسرح أيضا على رفض الاشتباك مع النقاد. وكما عبر مسئول رفيع المستوى بالكايمان حينما طلبت حوارا معه «ليس ثمة قيمة نكسبها حينما نُرى ونحن نشتبك معك. الأحرى أن العكس صحيح». مازال كريستنسن وزميله ريتشارد مرفى يطرحان تحديا قائما لمؤسسة چرسى للدخول معهما فى حوارات متلفزة عن صناعة الأوف شور على أرض محايدة. لم تقبل أية شخصية رفيعة المستوى بچرسى هذا التحدى أبدا.

ربما يكون أمضى الأسلحة التى تستخدم ضد النقاد المحليين هو سوق العمل. أخبرنى مواطن من چرسى فى أواسط عمره، طالبا منى عدم ذكر اسمه، أن حياته الوظيفية دُمِرت بعد أن تحدث علنا عن حالة فساد أوف شور كان قد عمل عليها. قال «لدىَّ جميع المؤهلات، لكننى الآن عاجز عن الحصول على وظيفة فى بوفيه إحدى المؤسسات القانونية». أكد سيڤرت هذا حينما قال «إذا تحدثت ضد مصالح صناعة المال، تنتهى حياتك الوظيفية».

أنجولا والكويت هما دولتان تعتمدان على النفط؛ وچرسى دولة تعمد على

الأموال. يتحدث الاقتصاديون عما يسمونه «المرض الهولندى» الذى يصيب البلاد الغنية بمواردها المعدنية: حينما تتدفق الإيرادات، ترتفع مستويات الأسعار، ولا تستطيع السلع المصنوعة محلياً، بخاصة المنتجات المصنعة والمنتجات الزراعية التنافس مع الواردات الأقل سعرا. فى تلك الأثناء، ترشح المواهب وتتسرب إلى القطاعات المهيمنة، ويفقد السياسيون الاهتمام بالمهمة الشاقة لتعويم المجالات الأخرى وتنشيطها لأن التعلق بمصادر النقد السهل والتمسك بها أكثر سهولة وأكثر إدرارا للربح. على الرغم من أن صناعة چرسى المالية لا توظف سوى حوالى ١٣٠٠٠ شخص بأسلوب مباشر، أى ما يقرب من ربع قوة العمالة، فإنها الآن مصدر ٩٠٪ من إيراد الحكومة، وقد عملت الآن على إقصاء القطاعات الأخرى، تماما مثلما عملت الصناعة النفطية بأنجولا على القضاء على مجالات الإنتاج الأخرى. ما بين عامى ١٩٨٥ و٢٠٠١، ارتفعت أسعار المنازل بچرسى خمسة أمثال، ثم شهدت زيادة قدرها ٦٠٪، إلى أن وصل ثمن المنزل المتوسط بچرسى فى منتصف الثمانينيات إلى ٩٦٠٠٠٠ دولار، أى حوالى مثلين ونصف المثل من سعر المنزل المناظر ببريطانيا التى تشهد نفسها طفرة (وهمية) فى أسعار المنازل. فى السنوات التسع حتى عام ٢٠٠٦، تضاعفت الإيداعات وقيمة الأموال ببنوك چرسى، فيما تراجعت الدخول من الزراعة والمواد المصنعة بمعدل ٢٠٪ و٣٥٪ على التوالى. تقلصت كل من الزراعة والتصنيع إلى ١٪ من الاقتصاد، كما تشهد السياحة تراجعاً سريعا.

وكما يحدث فى اقتصادات النفط، يصبح مَنْ على القمة أثرياء سريعا، ويشهد من فى القاع أجورهم فى حالة ركود أو تراجع. قال سيڤرت «ثمة صورة معيارية تسيطر على أذهان الناس بأن چرسى تمتلئ بالمليونيرات السكارى وأن السكان هم مجموعة من الأثرياء أولاد الحرام الذين يستحقون الرفس بالأقدام. فى واقع الأمر، فإن معظم الناس فى چرسى عاجزون سياسيا وأن نخب الأوليجاركية الراسخة هم الخنازير الذين يلتهمون الأطعمة الموجودة بالقصعة». تُترجم عدم المساواة الاقتصادية إلى عدم المساواة السياسية مما يؤدى إلى مضاعفة الضغوط على المعارضين.

تصف روزمارى پستانا، ناشطة النقابات العمالية الصلبة الشجاعة، ما يعنيه أن

تعيش دونما نقود بچرسى. پستانا، أم تتحمل وحدها مسئولية ثلاثة أطفال ومسجلة على أنها معوقة – تعانى من الروماتويد ومن مشاكل فى القلب – وتسكن بشقة فى مبنى سكنى متهالك بوسط سانت هلبير العاصمة، كانت قد عملت لخمسة وثلاثين عاما عاملة نظافة لبعض الوقت بمستشفى چرسى العام وكانت تكسب من ذلك العمل ١٣٠٠٠ جنيه إسترلينى فى العام – أى حوالى واحد على أربعين من ثمن أى منزل عادى. قالت إن الفرد يحتاج إلى دخل أسبوعى قدره ٤٠٠ جنيه إسترلينى للوفاء بمتطلبات العيش الأساسية – لكن الحد الأدنى للأجور هو ٢٣٠ جنيه إسترلينى قبل خصم التأمينات والضرائب، من ثم يحتاج معظم الناس إلى وظيفتين. يجعل قانون العمل الإضراب أمرا من شبه المستحيل حدوثه.

جلستْ فى مطبخها المزدحم بالكراكيب تتذكر أيام طفولتها «كانت الحياة شاقة وقتئذ لكنها كانت أرحم مما عليه الأمور اليوم». فحتى حينما انفصل والداها استمر الأطفال فى مدارسهم وكانوا يتمتعون بإجازات ورحلات بين آونة وأخرى، لكن ذلك أصبح مستحيلا الآن. وصفت تكلفة تلقى علاج طبى. لا تتبع چرسى نظام الخدمة الصحية البريطانى وعلى المرضى دفع أجور الأطباء. بيَّن مَسْح چرسى الاجتماعى السنوى عن عام ٢٠٠٩ أن تكلفة العلاج باهظة بدرجة أن أكثر من نصف السكان لا يذهبون بانتظام للكشف لدى الأطباء وأطباء الأسنان. قالت پستانا: «إننى أحب جزيرتى، لكننى أريد أن أستردها».

اعتاد كريستنسن أن يعمل مشرفا على دليل أسعار التجزئة (RPI) بچرسى والتحكم به والذى كان له تأثير مهم وواقعى على حالات عدم المساواة. كانت أشياء كثيرة مثل الإيجارات وأسعار المياه مرتبطة بذلك الدليل، وإذا ارتفعت الأسعار يكون على أصحاب الأعمال رفع أجور العاملين. قال كريستنسن إنه حاول حماية ذلك الدليل بقوة من تدخل السياسيين، لكن المسئولين سرعان ما تدخلوا لإعاقة عمله.

يجعل أحد قوانين جرسى من العسير، بل يكاد يكون من المستحيل، قيام «بيزنسات» خارج القطاع المالى، هذا على الرغم من أن بإمكان الأجانب أن يصلوا

إلى الجزيرة على أحد القوارب ويحصلوا سريعا على وظائف. قال كريستنسن، «إذا كنت تتحكم فى الطلب على العمالة لكنك لا تتحكم فى المعروض منها فإن ثمة نتيجة محتملة واحدة، ضغوط على الأجور باتجاه أسفل». حينما كان كريستنسن فى جرسى لم يكن ثمة حد أدنى للأجور، أو بدلات للبطالة، وكان هذا مثاليا بالنسبة للصناعات المالية لأنه يبقى على التكلفة منخفضة. وحينما أجرى حوارا مع صحيفة جرسى إيفيننج بوست مدافعا عن وجود حد أدنى للأجور، تقدمت الغرفة التجارية بشكوى رسمية ضده.

تتساهل مراكز الأوف شور فى حالات عدم المساواة الاقتصادية، بل إنها ترحب بها لحفز الفقراء على بذل جهد أكبر، وذلك توجه جمعى سائد لخّصه الاقتصادى جيه. كيه. جالبريث فى نظرية «الحصان والعصفور» الخاصة بتوزيع الدخل والضرائب: «إذا أطعمت الحصان قدرا كافيا من الشوفان ستتناثر بعض الحبوب على الطريق وتأكلها العصافير». تعمد جرسى إلى قهر الفقراء بانتظام واستنزافهم ماليا كى تظل فى مقدمة الاختصاصات القضائية الأخرى من حيث اجتذاب رءوس الأموال. فى عام ٢٠٠٤، خفضت جرسى الضرائب على الشركات من ٢٠٪ إلى صفر، باستثناء الأموال حيث يُدفع عنها ضريبة قدرها ١٠٪. أحدث هذا ثقبا فى الموازنة يعادل جميع تمويلات نظام المزايا الاجتماعية بجرسى، من ثم وبين إجراءات كثيرة أخرى، قاموا بفرض ضريبة على الاستهلاك تسببت فى معاناة كبيرة للفقراء بخاصة. تسمّى شونا بيتمان، عضو المجلس التشريعى هذا الإجراء، نهجا لفرض الضرائب على الفقراء لإنقاذ الأغنياء. يقول جرى دورى، السناتور بجرسى إن «بنية جرسى الاجتماعية تماثل فندق الهيلتون.. مجموعة من الأفراد الغرباء عن بعضهم موجودون بنفس المكان لكسب الثروة».

واقعيا، بإمكان الشركات وكبار أثرياء جرسى التفاوض على معدلات الضرائب التى عليهم دفعها؛ لمعظم سنوات التسعينيات، كان الأثرياء الراغبون فى الحصول على إقامة بجرسى يقومون بإرسال محاميهم إلى مكتب كريستنسن مباشرة للتفاوض على تلك المعدلات. كانت جرسى تصر على تسديد حد أدنى سنوى، وكان

المليونير أو الملياردير يقوم بتحويل المبلغ الذى عندما كان يُحسب وفق معدل ضرائب چرسى الثابت وقدره ٢٠٪ فإن الناتج يكون هذا المبلغ. كان من سبقوا كريستنسن قد استقروا على مبلغ يتراوح بين ٢٥٠٠٠ و٣٠٠٠٠ جنيه إسترلينى ضريبة سنوية، ورفعه كريستنسن إلى ١٥٠٠٠٠ جنيه إسترلينى. لنقل إن لديك دخلا قدره ١٠ ملايين جنيه إسترلينى من جميع أنحاء العالم، فإن معدل الضريبة الفعلى الذى تدفعه هو ١,٥٪. كانت الشركات أيضاً تخضع لمعاملة مماثلة، حيث كان يبدأ أكبر معدل ضريبى تخضع له البيزنسات والشركات الدولية هو ٢٪ فأقل اعتمادا على كم الأرباح التى تخطط لحصدها من چرسى.

يميل المليونيرات للحفاظ على مظهر متواضع. يضم مبنى متداعٍ للمكاتب أقيم فى الخمسينيات بالقرب من قلب العاصمة سانت هلير وفوق مطعم نيو راچ للمأكولات الهندية إمبراطورية البث الإذاعى والتليفزيونى لريتشارد دزموند الثرى مالك العديد من الصحف والذى يقوم ببث المواد البورنوجرافية. أيضا، كان مقر هيو ثرستون المحاسب الذى كان يرعى الشئون المالية لمارجريت ثاتشر وعائلتها، ومعه مقر أنظمة BAE متعددة الجنسية العملاقة لتجارة الأسلحة، كان مبنى قديماً بالقرب من حافة المدينة. قال مستثمر عقارات متقاعد لم يرغب فى ذكر اسمه «أدفع ربع معدل الضريبة التى يدفعها الرجل الذى يجمع قمامتى. أمضى يومى فى لعب الجولف، أما هو فقد يكون غير قادر على دفع إيجار المنزل الذى يسكنه. هذا هو نمط الحياة فى چرسى: إذا كنت تملك النقود تحصل على كل ما هو أفضل». وكما ذكرنا من قبل، فإن كل من يجهر بنقد الممارسات هناك، مثلما فعل كريستنسن والقلائل الذين عارضوا النظام، يتعرض للهجوم الضارى ومحاولات تشويه السمعة والضغط من أجل أن يترك منصبه بصفته خائنا للأمة.

يزدهر الأوف شور على المصالح الذاتية الضيقة ومعها ثقافة التواطؤ. يعزو المدافعون عنه، وبأسلوب عصابى، الدوافع الخبيثة والأجندات الخفية لناقدى النظام على الرغم من علمهم بنزاهة هؤلاء الناقدين.

على الرغم من أن صناعة المال تستغل عزلة مراكز الأوف شور، وجبن السكان، وقصر نظرهم الأخلاقى، إلا أن المبدأ الجمعى لقمع الفقراء والتسبب فى معاناتهم الذى يهيمن على مؤسسة چرسى له أصوله النهائية فى صناعات الأوف شور ومن يتحكمون فيها فى مناطق الأون شور الداخلية، ولا يعزى لطبيعة سكان الجزر المتأصلة فقط. بإمكان قمع الأوف شور أن يحدث فى اختصاصات قضائية كبيرة أيضا. شعر رودولف إلمر، وهو مصرفى سويسرى كان قد عمل بعدة بنوك بمراكز أوف شور قبل أن يصبح ناقدا لها يطلق الإنذار تلو الآخر بشأن الفساد الذى شهده، شعر بالضغوط فى سويسرا، وهى بلد تعداده ثمانية ملايين نسمة.

فى عام ٢٠٠٤، لاحظ إلمر رجلين يتبعانه إلى عمله. وفيما بعد رآهما فى موقف السيارات الخاص بروضة الأطفال التى تذهب إليها ابنته، ثم أبصرهما من نافذة مطبخه. كان الرجلان يتبعان زوجته فى سيارتها، وقاما بتقديم الشيكولاتة إلى ابنته فى الشارع، ثم قاما بقيادة سيارة بأقصى سرعة فى الشارع المسدود الذى فيه منزله. استمرت تلك المطاردة، بمعدلات متباينة، لمدة عامين. كان وقتئذ يعمل بشركة صينية، وذات مرة، ارتدى المطاردان تى شيرتين مرسوما على ظهريهما تنينان. أنكر چوليوس بائير، صاحب الشركة التى كان يعمل بها سابقا، أية علاقة بالموضوع؛ ولم يستطيع أحد تحديد من أرسل هذين الرجلين. قالت الشرطة إنه ليس ثمة ما تستطيع فعله. فى عام ٢٠٠٥، تم تفتيش منزله بتهمة انتهاك السرية المصرفية التى هى، ووفقا لتعبيره «انتهاك رسمى مثل جريمة القتل».

قال «وقتئذ وصلت الأمور إلى حد فكرت معه فى الانتحار. كان يحدث أن أنظر من النافذة فى الثانية صباحا وأراهما. بثا الرعب فى زوجتى وأطفالى وجيرانى. أصبحت خارجا عن القانون. كنت أبا روحيا [أبا بالمعمودية] لطفل كان والده يعمل فى مجال المال. قال لى والده إن علىَّ أن أتوقف وإننى أُمثل تهديدا للعائلة». ضغط رئيس أحد أقربائه اللصيقين عليه كى يتجنب أى اتصال بإلمر، وفى أعقاب هذا التحذير ترك صديقه مكتب رئيسه باكيا. قال إلمر «كنت جد ساذج إذ اعتقدت أن

العدالة السويسرية مختلفة. أفهم أن بإمكانهم التحكم فى مكان مثل الآيل أوف مان يبلغ تعداد سكانه ٨٠٠٠٠ نسمة، لكن فى ٨ ملايين نسمة [تعداد سويسرا]؟ كيف لأقلية فى عالم المصارف أن تتلاعب بآراء بلد بأكمله وتشكّلها؟ ما هذا؟ المافيا؟ كيف يجرى العمل. چرسى، جزر الكايمان، سويسرا: إن هذا النظام اللعين بأكمله فاسد».

أتيح للأيديولوچيات اليمينية التى ظلت خارج الحظيرة فى الديموقراطيات الكبرى، أن تنمو دونما كوابح بالأوف شور. وفيما غدت أموال الأوف شور ذات نفوذ متزايد فى الاقتصاد الكوكبى بحيث أعادت هندسة اقتصادات الأوف شور بأساليب جوهرية، ازدهرت هذه التوجهات واكتسبت ثقة وقوة داخل نطاق الاقتصادات الأكبر. يظهر هذا جليا فى صلافة المصرفيين العنيدة، الذين، وبعد أن كادوا يدمرون اقتصاد العالم، مازالوا يطلبون المزيد ويهددون بالانتقال إلى أماكن أخرى حال إخضاعهم للأنظمة، أو فرض ضرائب كبيرة عليهم. يظهر جليا أيضا فى مطالبات السوپر أثرياء الذين غدوا يتوقعون معدلات ضريبية أقل مما يدفعها من يقومون بتنظيف مكاتبهم ويطالبون بذلك. حينما يقوم بونو، الموسيقار الأيرلندى المحبوب وأبرز من قاموا بحملات ضد الفقر فى العالم، بنقل شئونه المالية أوف شور، إلى هولندا، ليتجنب دفع الضرائب، ومع ذلك يظل يتمتع بشعبية فائقة، يبدو الأمر وأننا قد خسرنا المعركة. فى الوقت الراهن، نجد أمريكا، تلك الديموقراطية العظيمة. واقعة فى براثن آراء النخب الفاسدة غير الخاضعة للمحاسبة، والإجرامية فى غالبيتها، والفضل يرجع، إلى حد كبير، لأموال الأوف شور.

بعد أن نجحت أموال الأوف فى استعمار اقتصادات الدول القومية الكبيرة وأنظمتها السياسية، نجدها قد قطعت شوطا كبيرا باتجاه أسر مواقفنا وتوجهاتنا أيضا.